

إذا رغبت في شيء فإن العالم كله

يطاوعك لتحقيق رغبتك

«من رواية ساحر الصحراء»

محمد خليل مندور.. رجل آمن

ب«العلامات» فلم تخذله، وكان عمله

منذ طفولته في صناعة الفخار ليسد

جوع أسرته، طريقه الذي أوصله لأن

يصبح أشهر فخراني!

محمد مندور..

فيلسوف الخزف

زيارة - هشام أصلان

ولما مات والده وهو لا يزال رضيعاً، اضطرت ظروف أسرته الصعبة إلى عدم إكمال تعليمه، والنزول إلى العمل وهو في السابعة من عمره كصبي لأحد صانعي الخزف والفخار المنتشرين بحي الفسطاط الذي نشأ فيه.

من البدايات ظهرت عليه علامات النبوغ، ومن حسن حظه أن عمله أصبح هوايته، وعندما كان يساعد أسطى الخزف ويجهز له الطين، لم يكن طامحاً في أن يغير مساره ليعمل بمهنة أكثر رقياً، بل كان يحلم بالوقت الذي يقف فيه أمام القرص الدوار ليشكل بنفسه الأواني والقلل.

في المعرض المقام حالياً بجالييري «مسار بالزمالك» للفنان الكبير محمد مندور، نجد نتاج سنوات عمله الخمسين يتجسد في أوان فخارية ساحرة، بعضها يميل للقصر، ذو بطن ممتلئ، يذكر بمدرسة الواقعية في الفن، بينما بعضها ذو خصر رشيق، وهيكل بيضاوي، يميل إلى الاستطالة، وتلك أعمال تشعر أمامها بعدم الشبع من مجرد مشاهدتها، وتستثيرك كي تمرر يدك عليها، فتشعر باستداراتها المضبوطة في تجويف راحتك التي طالما سارت على الإناء لتصل إلى فوهته تجدها لا تقف أمام أي نتوء مزعج، فتحقق الفكرة الأبدية للعاشق والمعشوق.

كان دائم الاختلاف مع أصحاب الورش الذين عمل معهم، فكان سريعاً ما يترك العمل، مما يتسبب في مشكلة لأسرته المحتاجة لجنيهاته القليلة، إلى أن شاهده بالمصادفة النحات أحمد حسين هجرس، وأعجب به وطلبه للعمل في أتيليه الخاص به وكان عمره وقتها ١٦ عاماً، وفي أتيليه

هجرس قابل مثقفي مصر، وتحولت جلساتهم إلى وسيلة لتثقيفه، وسريعاً ما ذاع صيته، واختارته منظمة اليونسكو ليعمل معلماً لهذا الفن، وتحول إلى أحد أهم المجددين فيه، فأوانيه تملأ الفراغ بمزيج عجيب من الحركة والصوت في آن واحد، عندما تراها تشعر وكأنها لم تتوقف، بل يهياً لك أنها مازالت تدور تحت يديه على القرص الدوار ذي الصوت الحاضر في مكان العرض، قال عنه البعض إن أعماله مفخرة الخزف المصري المعاصر، وخلاصة الخزافين المصريين.

لم ينافس محمد خليل مندور في عذوبة أعماله وانسيابيتها وخلوها من الشوائب، إلا مقالة بديعة كتبها عنه الفنان ذو القامة الرفيعة حسين بيكار قال فيها: «لا نملك إلا أن نقف صامتين أمام صوت الحكمة الذي ينبعث من أواني محمد مندور الفخارية.. ينشأ بيننا وبينها حوار صوفى من نوع فريد.. حوار بين كائن جبل من الطين هو الإناء، وكائن آخر جبل من نفس الطين هو الإنسان.. لا نملك ونحن نتحسس جوانب الإناء بأبصارنا إلا أن نعجب بقدرة هذا الجسم الرقيق على تحمل أقصى درجات الحرارة لكي يكون له هذا الشكل والملمس والرنين.. إنه فيلسوف معمر يلقي علينا أعظم درس في معنى الصمود».

هذا هو محمد خليل مندور الذي جاءت به العلامات مبكراً منذ وفاة والده، فأمن وتمسك بها، مما جعل القدر يحترمه، ويطورها إلى أحداث أسهمت في أن يقف الرجل شامخاً أمام حملة الشهادات والدرجات العلمية، رأساً برأس، وقامة بقامة، وأصبح أحد رموز قلائل في هذا البلد لم تدرس وياتت تدرس.



محمد مندور يشرح لخالده شتا ووليد عبد الخالق أحد أعماله